المؤتمر الوطني الثامن والعشرون للحزب الشيوعي الفرنسي:
«حزب شيوعي من طراز جديد»

انعقد كما هو معلوم المؤتمر الوطني الثامن والعشرون للحزب الشيوعي الفرنسي بضواحي باريس، من ٢٥ الى ٢٩ يناير ١٩٩٤ ، وتضمن جدول أعماله أربعة نقاط أساسية: مشروع ميثاق الحزب، ومشروع البرنامج، ومشروع القانون الأساسي المعدل، وانتخاب القيادة الجديدة.

ولقد تشكل المؤتمر من ١٥٨١ مندوبا يمثلون ٩٦ فدرالية حزبية ، كما ساهم فيه ١٢٨ ممثلا عن الاحزاب والمنظمات الصديقة، وعشرين شخصية مدعوة.

وخلال المرحلة التحضيرية للمؤتمر تشكلت لجان مختصة قامت باعداد مشاريع وثائق بالنسبة للنقاط الثلاث الاولى من جدول الاعمال، طرحت للنقاش في القاعدة طيلة مدة اربعة اشهر. ومن خلال هذا النقاش تقدمت مختلف الفيدراليات بما لا يقل عن ٥٣٦٩ تعديل، و٢٧٥ مساهمة ومداخلة اضافية، عملت اللجان المختصة على ادماج اغلبها قبل افتتاح المؤتمر ضمن الوثائق المعروضة عليه.

ومباشرة بعد كلمة افتتاحية مختصرة، أعطيت الكلمة لمقرر لجنة الميثاق الذي قدم ملخصا عن المحتويات الاساسية لمشروع ميثاق الحزب مركزاً على جملة من المفاهيم المتجددة تصب كلها في اتجاه تثبيت قيم وهوية الحزب الاشتراكية، ومفاهيم الديموقراطية والتسيير الذاتي، وضرورة تجاوز النمط المركزي الذي كان فعالا في مرحلة تاريخية معينة، وتثبيت وتوسيع المضمون السياسي والاجتماعي لمفهوم المواطنة وكذلك تجديد استراتيجية الحزب وتعميقها بناء على التغييرات التي حدثت على المستويين الدولي والوطني. وبعد التأكيد على سيادة اعضاء الحزب على شؤونهم واهمية السير الديموقراطي الداخلي والنقد والتجديد من أجل وضع تصور مثالي وملموس في نفس الوقت للمجتمع المستقبلي، ألح المقرر على أن المطروح ليس هو احداث تغييرات شكلية في برنامج الحزب واجهزته بل المطروح هو التوصل الى بناء «حزب شيوعي من طراز جديد»، بعيدا عن الستالينية والديموقراطية الاجتماعية في نفس الوقت.

اما مقرر لجنة البرنامج السياسي للحزب فلق ركز على الاختيارات الاساسية المناهضة للرأسمالية وللازمة الناتجة عن سياستها، تلك الاختيارات المنبثقة عن النقاشات والنضالات الشعبية والتي ترمي الى تحقيق العدالة الاجتماعية، خاصة على مستوى الشغل وتوسيع الحريات، وتحقيق السلم ونظام عالمي جديد مبني على العدل والتكافؤ والتعاون بين الشعوب.

وعلى المستوى التنظيمي، اكد المقرر من جديد على سيادة أعضاء الحزب في بلورة واتخاذ كل القرارات المتعلقة بسيره وعلى دور الخلية كاطار منظم لممارسة تلك السيادة في جو من التآخي والمسؤولية، وهي بالتالي ليست اطارا تابعا ولا دونيا بالنسبة للاجهزة العليا التي يجب ان تلعب دورا منسجما للتعبير عن الارادة الجماعية والدفع بها مع اعطاء مكانة بارزة لخصال الاستماع والاستيعاب لتلك الارادة التي يجب ان تنبثق ليس من نمط واحد ممركز كما في السابق، بل بإتاحة الفرصة للتعددية في الآراء، قبل صياغة الرأي الجماعي بالاحتكام للأغلبية . وفي هذا الاطار وجب التخلي بصفة نهائية على اتخاذ قرارات تاديبية في حق كل من له رأي سياسي مخالف لرأي الحزب الرسمي، واتخاذ تلك الاجراءات فقط بالنسبة لمن يقوم بعمل ملموس ضد الحزب ومصالحه، اما الافكار والاجتهادات فهي مباحة كيفما كان نوعها. وفي كل مستوى من مستويات التنظيم الحزبي يجب ان تسود الشفافية، وحرية رأي الفرد بحيث يكون لكل عضو صوت واحد بعيدا عن الضغوطات او التأثيرات السلطوية والاجماع الشكلي، بل باطلاق حرية التعبير الخلاقة حتى يكون الحزب فعلا مساحة للحرية التي لا يوفرها المجتمع حاليا.

اما المناضل القيادي في الحزب فليس ذاك الذي «يعرف كل شيء ويرى كل شيء ويقرر في كل شيء» ، بل الاطار الذي ينسق ويدفع بالقرارات الجماعية في تواضع وصبر وهدوء ... ومجمل هذه القيم والمبادئ التنظيمية الاساسية هي التي تؤسس للتآخي الحقيقي داخل الحزب في جو من الصراحة والشفافية والوضوح والنزاهة.

والجدير بالذكر أن كل نقطة من نقاط جدول الاعمال الثلاث قد خضعت لنقاش مستفيض من طرف المؤتمرين دام اربعة ايام متواصلة عبرت من خلالها تنظيمات الحزب عن أرائها الجماعية عبر مداخلاتها المحضرة والمكتوبة وذلك قبل المصادقة على الصيغ النهائية لميثاق الحزب وبرنامجه السياسي وقانونه الاساسي المعدل.

وبالنسبة لانتخاب القيادة الجديدة تشكلت لجنة ترشيحات من ممثلي فيدراليات الحزب، اجتمعت طيلة ليلة الجمعة لاعداد مشروع لائحة اللجنة الوطنية الجديدة (اللجنة المركزية سابقا) من ١٤٣ عضوا مرشحا، قدمتها للجلسة العمومية. وبعد مناقشة طويلة حول مقاييس وضوابط الترشيح وضرورة توفر التعددية داخل القيادة الجماعية مع احترام ارادة الاغلبية، طرحت اللائحة المذكورة للتصويت من طرف كل مؤتمر الذي كان عليه التشطيب على المرشحين

الذين لا يرغب في عضويتهم قبل ايداع لائحته في احد صناديق الاقتراع التي اعدت داخل قاعة المؤتمر، وتم الاتفاق على ان يتم اقصاء اي مرشح ضمن اللائحة لا يحصل على ٥١ في المائة من اصوات المؤتمرين. هكذا، وبعد مرحلة فرز الاصوات من طرف مكاتب التصويت أعلن عن انتخاب اللجنة الوطنية التي اجتمعت بدورها لانتخاب مكتب وطني من ٢٣ عضوا وعين هذا الاخير من بين اعضائه كاتبا وطنيا على ان وظيفة هذا الاخير مقتصرة على التنسيق والدفع بالارادة الحزبية في اطار القيادة الجماعية.

ووسط جو من الحماس والشعارات والاناشيد والاغاني الشعبية أعلن عن اختتام اشغال المؤتمر الثامن والعشرون للحزب الشيوعي الفرنسي.

هذا ولقد كان حزب الطليعة ضمن الأحزاب المدعوة، ممثلا بالأخ عبد الغني بوستة السرايري، عضو اللجنة المركزية، الذى ساهم بكلمة موجهة للمؤتمر، كما أجرى اتصالات واسعة مع الأحزاب والمنظمات الشقيقة الحاضرة، وعقد عدة جلسات عمل رسمية لتعميق التعريف بحزب الطليعة ودراسة القضايا ذات الاهتمام المشترك، ومنها على الخصوص جلسات مع كل من الاحزاب الشيوعية الاسباني والبرتغالي والأيطالي (بشقيه) والسوداني والمصري، وكذلك حزب التحدي الجزائري والحزب الاشتراكي الموحد بتركيا والحزب الديموقراطي الاشتراكي بالمانيا (الشرقية سابقا) والحزب الاشتراكي اليمني...

كلمة حزب الطليعة للمؤتمر ٢٨ للحزب الشيوعي الفرنسي
(مترجمة من اللغة الفرنسية)

الرفاق الأعزاء،
باسم حزب الطليعة الديموقراطي الاشتراكي الذى أتشرف بتمثيله في مؤتمركم الوطني الثامن والعشرين أتقدم إليكم باحر وأصدق التحيات الأخوية، وأتمنى لمؤتمركم التاريخي هذا، النجاح التام في أشغاله.
وكما تعلمون، فإن العلاقات الأخوية التى تجمع بين حزبينا لا تنبني على اعتبارات عاطفية فحسب، بل تتاسس بشكل متين على أرضية قناعات وأهداف استراتيجية مشتركة، رغم الخصوصيات والمسار التاريخي العيني لكل واحد من الحزبين.
اننا نتقاسم نفس النظرة والتحليل لعالمنا الراهن، الذى يمتاز بتدويل وتداخل وترابط لم يسبق له مثيل، في كافة المستويات وبالنسبة لكل القضايا الاقتصادية والاجتماعية والتقنية والعلمية والسياسية والأمنية والثقافية والإعلامية.. وبالتالي وأساسا الأيديولوجية...
انه عالم يحاول فيه النظام الرأسمالي العالمي، وقد بلغ أعلى درجاته في التطور، السيطرة بدون منازع وفرض نمط من الهيمنة المطلقة الممركز والأحادية القطب، وذلك عبر استراتيجية دولية شاملة تمتد لكل الميادين، وتجند إمكانيات ووسائل ضخمة هائلة من حروب واعتداءات مستمرة ضد الشعوب باسم القانون والشعارات الإنسانية، وحصارات لاقانونية ضد دول صغيرة مستضعفة، والإنتاج والتتاجر المخجل في الأسلحة والمخدرات، ونهب خيرات الشعوب وتفقيرها، والتبادل اللامتكافئ المجحف، وإعادة هيكلة وتوزيع العمل على المستوى الدولي، وفرض الاجراءات الاقتصادية التقشفية فرضا، والتفقير المعنوي والثقافي والتعتيم الاعلامي المنسق عالميا.. الى غير ذلك من الوسائل التى تستهدف الربح ومزيدا من الربح على حساب الإنسان وكرامته وحاجياته الأساسية.
وإن النتائج العملية لتطبيق هذه الاستراتيجية بدون تمييز ولا محاسبة ضمير، لغنية عن أي تعليق، حيث أصبح ثلثي البشرية يعيش في ظل البؤس والحرمان والبطالة والركود الاقتصادي والقمع والظلم والمساس بكرامة وحقوق الانسان والحروب والمجاعات والأمراض المعدية والأمية المتفشية...
وبالنسبة للبلدان الغنية المتقدمة نفسها، أصبحت الحقوق الإجتماعية التى نيلت بكفاح مرير، معرضة يوميا للخرق والتقلص، في حين أن التهميش والضياع أضحى ظاهرة اجتماعية، وسار «العالم الرابع» يزحف ويتوسع داخل «العالم الأول»... واذا كانت شعوب تلك البلدان الغنية تعاني وتقاسي من استراتيجية الاستغلال ـ التى كافح ويكافح ضدها حزبكم بشجاعة وإصرار ـ فإن عواقب تلك الاستراتيجية بالنسبة للبلدان التابعة أكثر قساوة ومأساوية.. بما لا يقاس...
ففي البلدان التابعة، مثل بلدي، يتظافر الاستغلال الامبريالي الأجنبي مع استغلال وهيمنة طبقة كومبرادورية لا تتردد في ضرب المصالح الحيوية للوطن، خدمة لمصالح الاستعمار الجديد، ولمصالحها الذاتية المتداخلة. وفي ظل هذا الاستيلاب المزدوج، الوطني والطبقي في آن معا، لا تجد حقوق الإنسان ولا الديموقراطية حتى في حدودها الادنى، مكانة لها.. عدى بصفة مغشوشة وكواجهة مسخرة لخدمة أغراض الدعاية الخارجية أو كعذر وتبرير يوفر «راحة البال» بالنسبة للذين يشاركون ويعملون على استغلال الشعوب.
ان حزبنا يكافح بكل حزم ضد هذه الاستراتيجية المفروضة على شعبنا، باعتبارها امتدادا واستمرارا للاستعمار باشكال دائمة التجدد، وذلك على إثر سلب استقلالنا الفعلي وضرب وإجهاض ثورتنا الوطنية. ووفقاً لمساره التاريخي الخاص، باعتباره امتدادا لحركة التحرير الشعبية ثم للحركة الاشتراكية بصفة عامة، تبنى حزبنا الاشتراكية العلمية بصفة طبيعية، مواكبةً وانسجاماً مع التصنيفات الطبقية التى شهدها مجتمعنا بشكل تدريجي في العقود الأولى من الاستقلال الناقص.
انها إيديولوجيتنا (الاشتراكية العلمية) وايديولوجية الطبقة العاملة وكل الشغالين يدويين وفكريين؛ إنها البديل المطروح أمام الإنسانية جمعاء، لأن الرأسمالية لم تعد حلا بالنسبة للحاضر، فكيف تكون حلا للمستقبل...؟
ان الاشتراكية العلمية بالنسبة إلينا كانت وستظل منهجاً للتحليل أولاً وقبل كل شيء، ونظرية ثورية حية جدلية دائمة الحركة والاغتناء المستمر عبر التطور التاريخي للشعوب، ونظاما منسجما للأفكار الخلاقة والقيم الإنسانية العالية، نظرية تستفيد وتدمج باستمرار الجديد، وتتخلى بدون تردد عن البالي والقديم والمتجاوز.. إنها تشكل بالنسبة إلينا ولكافة الشعوب الوريث الشرعي لكل فكر تقدمي تاريخي، وتستهدف «التبلور الحر للفرد كشرط للتبلور الحر للجماعة» كما قال البيان الشيوعي منذ أزيد من قرن ونصف...
ولهذه الأسباب كلها، توجد الديموقراطية باشكالها الأكثر تطورا وتوسعا في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.. توجد في قلب ايديولوجيتنا الثورية، التى ترفض أيضا استيلاب شعب بكامله، رفضا باتا. وهذا هو المعنى العميق للشعار المركزي لحزب الطليعة الذى يركز أهدافنا الاستراتيجية المستمدة من اختيارنا الايديولوجي:

تحرير ـ ديموقراطية ـ اشتراكية، كاهداف مرتبطة بشكل عضوي... وهذه الأهداف الواضحة بدورها هي التي تحدد خطنا الديموقراطي النضالي في المرحلة الراهنة التي تجتازها بلادنا.
ولقد أكد مؤتمرنا الوطني الرابع، الذى انعقد بالدار البيضاء في شهر ديسمبر الماضي، على مجمل هذه الاختيارات الأساسية، كما أعلن للملأ، في وضح النهار وبصوت عالي، رفض حزبنا للديموقراطية المغشوشة ولسلب الإرادة الشعبية، وأكد عزمنا على مواصلة الكفاح من أجل تغيير ديموقراطي حقيقي وإقامة بديل تحرري تقدمي فعلي في بلادنا.
اننا نرفض أية مساومة أو مشاركة في المهازل الانتخابية المتكررة، ونطالب بمجلس تأسيسي منتخب بشكل حر لتحرير دستور يُرسي سيادة الشعب وأسس الديموقراطية، وتقديمه للاستفتاء العام. اننا ننادي جميع القوى الديموقراطية للمطالبة سويا بإلغاء نتائج الانتخابات الأخيرة، ولتشكيل جبهة للنضال من أجل الديموقراطية. وبالنسبة للظرف الآني، نعتبر ان سن قانون العفو العام والشامل، وإلغاء قوانين الاستعمار التي لا زالت سارية المفعول، واحترام وتطبيق حقوق الانسان الكونية المتعارف عليها حسب ما هو متضمن في المواثيق الدولية التي وقع عليها المغرب.. أن هذه الإجراءات الأدنى وحدها ستعبر عن إرادة سياسية فعلية للبدء في السير في اتجاه الحد من الحكم المطلق والأساليب الوسيطية للهيمنة الاقطاعية ـ البورجوازية.

ايها الأصدقاء الأعزاء،

إننا لسعداء بأن نقتسم معكم نتائج ومكتسبات مؤتمرنا الوطني الرابع، الذى حضي بنجاح كبير سواء على المستوى الكمي أو بالنسبة للمستوى النوعي الذى أظهره المناضلون الثوريون المخلصون الشجعان... ان حزبنا، عبر إصراره في نضال طويل تخللته تضحيات جسام، بلا مزايدات ولا نفخ إعلامي، يقف اليوم كبديل ديموقراطي فعلي وملموس، بشهادة أعدائه الطبقيين وخصومه أنفسهم، الذين لم يعد بإمكانهم تجاهل تأثير حزبنا ومصداقيته لدى الشعب المغربي.
وباعتباره مجرد أداة في خدمة هذا الأخير، فإن حزب الطليعة لن يدخر أي عطاء وتضحية ليكون فعلا في مستوى الخط الذى رسمه قائدنا الراحل، الشهيد المهدى بن بركة، والذى أغنته وعمقته عطاءات العشرات من الشهداء، ومئات السجناء السياسيين والمختطفين والمنفيين، وكل المناضلين المخلصين الأوفياء.
إننا لسعداء أيضا بأن نسجل أن حزبنا وحزبكم، عبر مسارين تاريخيين مختلفين، يصلان اليوم لقناعات مشتركة، ويتقاسمان خلاصات منسجمة، سواء على المستوى الايديولوجي العام، أو بالنسبة للتحليل الدولي، وللسير الداخلي الديموقراطي الذى يجب أن يسود داخل أي حزب ثوري يضع نفسه في خدمة الشعب.. وسنعمل من جهتنا على الاستفادة من مكتسبات ونتائج مؤتمركم الثامن والعشرين التاريخي، على مستوى خيارات النضال المشترك على الخصوص. معاً وسوياً وجنبا لجنب مع كل قوى التحرر والديموقراطية والتقدم عبر العالم، علينا أن نعمل جميعا بلا كلل ولا ملل على توحيد صفوفنا وجهودنا ضد العدو المشترك، ومن أجل مناهضة الاستراتيجية العالمية للاستغلال الرأسمالي، وفتح الطريق أمام بديل إنساني في خدمة كافة الشعوب...
إن طموحنا ليس أقل من تجاوز مفهوم التضامن ـ ولو بشكله البروليتاري ـ في اتجاه بناء استراتيجية عالمية مشتركة بين كافة قوى التحرر والتقدم، استراتيجية تسمح بتظافر وتوحيد العطاءات النضالية لكل فصيل تقدمي تمثيلي على حدة، في احترام كامل لخصوصياته الشعبية والحضارية، وسيادة قراره في شؤونه الخاصة، وفي احترام لطرق التنسيق الديموقراطي المتساوي، والتبادل والمساندة والتعاضد الأخوي...
وعلى لسان البيان الختامي للمؤتمر الوطني الرابع لحزب الطليعة، نجدد لكم «عزم الحزب وهو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العربية والأممية، على مواصلة الكفاح ومساندة كل شعوب العالم ضد النظام الاستغلالي الامبريالي الجديد وضد كل أنواع الاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية العالمية والميز العنصري، ومن أجل التحرر والتقدم والعدالة والمساواة والسلم والإخاء بين الشعوب».

إليكم أيها الرفاق المؤتمرون، والى جميع مناضلي الحزب الشيوعي الفرنسي، نعبر من جديد عن قناعتنا بأن أشغال مؤتمركم الثامن عشر التاريخي التي نتابعها بكل اهتمام وشغف، ستكلل بالنجاح على طريق ما تصبون إليه تحقيقه لصالح حزبكم وشعبكم، كما ننقل لكم أحر التحيات النضالية الأخوية من مناضلي حزب الطليعة الديموقراطي الاشتراكي.

عبد الغني بوستة
عضو اللجنة المركزية.